



لغبة المادية وحب الدنيا والأثرة السائدة..

لتوافر وسائل سهلة للوعظ والإرشاد..

لأسباب عديدة أخرى، ربما يمكن تفسير هذا السيل الجارف من الخطاب الوعظي المتذبذب في وسائل التواصل الاجتماعي، لاسيما مجموعات الواتساب ونظائرها. بحر متلاطم من الرسائل الوعظية يفيض في أجهزة التواصل يقصد من خلفها مطلقوها إلى مناهضة ما هو أكثر منها بكثير من الرسائل العビثية المنتشرة، ومقاومة دعاوى شر كثيرة تجد طريقها في المقابل في وسائل التواصل، لموازنة ذلك، ولتحمل جزء من مسؤولية الدعوة إلى الله والتنذير بطريقه يتحمس كثيرون لنقل رسائل الوعظ بصورة دورية ومتناهية، لדי هؤلاء نوايا طيبة، فهذا جهد المقلين – كما يرون – وبحسبهم أن يبلغوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو آية، كما في الحديث الذي رواه البخاري عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: (بلغوا عنني ولو آية).

بيد أن معظم هؤلاء قد فاتهم أن مقام البلاغ غير مقام الوعظ، ومقام التعليم يختلف عن حديث القصاص ومستدربي الدموع بالرقيقة بما تضمه من واسع التحديث بالحكايات والأعاجيب إلى جانب الثابت وغير الثابت من حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

لكن بأية حال، ليس المقصود هنا الحديث عن الغرائب والأعاجيب مما يذكره الوعاظ سواء أكان في المساجد ومجالس الناس أو في وسائل التواصل المتنوعة، إنما المراد من هذه السطور القليلة هو التنذير بقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فيما رواه البخاري: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السامة علينا"، فلقد كان رضي الله عنه يذكر الناس كل خميس فلما طلبوه ذلك منه كل يوم، وهو من قربه من النبي صلى الله عليه وسلم وإدراكه للسنة وهدى النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم، وإنني أخولكم بالموعظة، كما كان

النبي- صلى الله عليه وسلم- يتخولنا بها؛ مخافة السامة علينا". قال ابن حجر العسقلاني في قوله "كان يتخولنا": "والمعنى كان يراعي الأوقات في تذكيرنا، ولا يفعل ذلك كل يوم؛ لثلا نمل". وفي اللغة: أي يتعهدنا.

وما رواه البخاري أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنه أن قال: "حدث الناس كل جمعة مرة فإن أكثرت فمرتدين، فإن أكثرت فثلاثا ولا تمل الناس من هذا القرآن ولنأت القوم لهم في حديث فقطع عليهم حديثهم وقال: أنصت فإذا أمروك فحدثهم لهم يشتهونه، وإياك والسجع في الدعاء فإني عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا يفعلونه".

وأورد ابن مفلح في الآداب الشرعية عن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول على المنبر: "أيها الناس لا تبغضوا الله إلى عباده، فقيل كيف ذاك أصلحك الله قال يجلس أحدكم قاصداً فيبطول على الناس حتى يبغض إليهم ما هم فيه، ويقوم أحدكم إماماً فيبطول على الناس حتى يبغض إليهم ما هم فيه"، وقول عائشة رضي الله عنها لعبيد بن عمير: "إياك وإملاك الناس وتقنيطهم"، وقول ابن عبدالبر: "يقال ستة إذا أهينوا فلا يلوموا أنفسهم: الذاهب إلى مائدة لم يدع إليها وطالب الفضل من اللئام. والداخل بين اثنين في حديثهما من غير أن يدخله فيه، والمستخف بالسلطان، والجالس مجلساً ليس له بأهل، والمقبل بحديثه على من لا يسمع منه ولا يصفي إليه".

لكن ماذا عسى الوعاظون الحاذقون أن يفعلوا إذا كانوا يبنون وغيرهم من عامة الناس وممن تصدروا بوعظ الآخرين فملؤوا الفضاء بمقاطعتهم وتدويناتهم الوعظية المتعاقبة، يهدمون؟! إنها في الحقيقة معضلة، وحلها ولو جزئياً ينبغي لأهل العلم تبيان الوجه الصحيح للوعظ والالتزام بسلوك ابن مسعود رضي الله عنه في المراوحة بين الموعظة والتي تليها، وتحين الفرص الملائمة للوعظ عند الناس في حال الالقاء بهم ومعرفة أحوالهم، أو في حال التوجيه إليهم بخطاب عام (سواء أكان إعلامياً أو غيره)؛ فإنه بخلاف ضبط الفترات الزمنية للوعظ ولتركه، يحسن أن يلتفت إلى مادة البلاغ الذي يوصله للناس من خلال منابر التواصل ونحوها، إذ الحاصل أنه بأخذ عينات كثيرة من الرسائل الدعوية المتدالوة يلاحظ أنها تصب في جانب الرقائق والأذكار ونحوها دون الإيغال في الأصول الشرعية الغائية عن أذهان كثير من الناس، بما يمكن أن ينتج في صورة المتألقين حالة غير متجانسة من المعرفة الشرعية تشبه الصورة النمطية للتصرف دون التعرف إلى أصول شرعية ربما كانت بحاجة إلى إحياء أكبر وتنبيه أوسع، هذا على فرضية إخراج هذه الرسائل المتداقة لثمرة إيجابية في نفوس المتألقين، وعدم إنتاجها لآثار سلبية كالتي حذر منها ابن مسعود وغيره من الصحابة رضوان الله تعالى عليه، كمثل السأم واللامبالاة ومحو كثير من هذه الرسائل بمجرد وصولها أو التعرف على محتواها الوعظي المتكرر والنمطي، وكمثال إضاعة وهج الخطاب الوعظي المتبعاد والعميق بظمه وسط كم هائل من الرسائل غير المدروسة والمتكررة والباهتة والمحبطة أحياناً!

من جانب آخر، وبخلاف تبيان أهل العلم؛ فإن المتألقي يقع عليه دور هو الآخر في عدم تعريض نفسه بشكل مكثف لوعظ يدرك خبراء السلف من قبل، ومن قبلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يفضي إلى السأم والملل؛ فيحسن بالأريب العاقل ألا يغرق هو الآخر في السماح لنفسه بسماع ومشاهدة وقراءة ما يزيد عن طاقته وظروفه لتقيل الوعظ، وأن يتوجه من تلقاء ذاته إلى عمل الصالحات؛ فیناسب بذلك بين حظه من التلقي وحظه من العمل، اقتداءً بخير سلف، صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين كانوا لا يجاوزون عشر آيات من القرآن إلى غيرها حتى يعملا بما فيها.

الله عز وجل قد أنزل القرآن موعظة، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يعظنا به، وفضل الوعظ والاستماع إليه لا يماري فيه عاقل، لكن في مقابل ذلك فالتوسط مندوب، والحكمة في تحين الأوقات للتذير والخشوع والتنفيذ والاقتصاد في ومضات الرقائق رجاء الانتفاع بها. وما من شك أن كثيراً من الرسائل المتدالوة قد بينت للناس ما كانوا يجهلونه وأحياناً ذكرت أقواماً بصوم وذكر وتلاوة ونحوها، وهذا أمر معلوم لا ينكر، وجزى الله خيراً من أحيا السنن وأمات البدع ونشر العلم، غير

أنه في مقابل هذا على الوعظين أن يدركوا مغبة الإغراء في الخطاب الوعظي وتکثير رسائلهم ومواعظهم على نحو يقلب  
جهدهم رأساً على عقب؛ فيسيئوا من حيث يريدون أن يحسنوا.

المصادر:

موقع المسلم